

الحواس الخمس
في القرآن الكريم

مجلة
الإنحلس
العلمية

إعداد

د. زين عزيز خلف العسافي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
رئيس قسم الدراسات الإسلامية
كلية البنات-المكلا
جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا

الحواس الخمس في القرآن الكريم

ملخص البحث

هذا البحث يتناول الحواس الإنسانية الخمس في القرآن الكريم، وهي السمع، البصر، والشم، والذوق والحس. وداخل الجسم ما هو أعظم فحق أن يقسم بها الله تعالى ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] فمن فضله وكرمه أنه خلق كل ذي روح منكباً على وجهه إلا الإنسان فإنه تعالى خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده. وهذا البحث يتناول اهتمام القرآن الكريم بهذه الحواس والحث على استخدامها في طاعة الله تعالى، وأنها من الأمانات عند الإنسان. ويتناول البحث العلاقة القوية بين العقل والحواس فكل منهما مكمل للآخر، فالعلوم إما مستفادة من الحواس، أو من العقول. فما كان من الحواس كانت الإشارة إليه بذكر السمع والبصر، فإن الإنسان إذا سمع شيئاً ورآه فإنه يرويّه ويخبر عنه، وأما العلوم المستفادة من العقل وهي قسمان: البديهية والكسبية، وإلى العلوم العقلية الإشارة بذكر الفؤاد.

وبيّنت أهمية السمع، وكيف اهتم القرآن به، حتى أنه ذكر بلفظ السمع ومشتقاته في مائة وتسعة وثلاثين موضعاً منه.

وبيان الحكمة من إفراد السمع وجمع البصر في القرآن الكريم. وبيّنت أقسام السمع من خلال الآيات التي وردت فيه. وبيّنت كيف جعل الله للإنسان مصباحين من نور كالسراج المضيء مركبين في أعلى مكان منه وفي أشرف عضو من أعضائه. وبيّنت أنواع النظر من خلال الآيات التي وردت فيه.

وعرّفت بحاسة الشم، وفوائده، وذكرت الآيات التي وردت فيه. ثم اللسان: هذه الآلة التي خلقها الله سبحانه لتمييز طعم المواد المختلفة.

ثم عرّفت بحاسة اللمس، وبيّنت عند ذكر آيات (البنان) الإعجاز القرآني في علم تحقيق الشخصية في عصرنا الحاضر وهو يقرر أن أدق شيء وأبدعه في بناء جسم الإنسان هو تسوية البنان حتى إنه لا يمكن أن تجد بنانا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال، وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكّموا البنان في كثير من القضايا والحوادث الجنائية.

ثم بيّنت حرص الإسلام على سلامة هذه الحواس وحفظها، وكيف بين رسول الله ﷺ للأمة كثيراً من قواعد الصحة العامة وبخاصة في علم الوقاية، وهو أفضل شطري الطب.

وكيف أوجب الإسلام الدية في كل حاسة من هذه الحواس، من أجل المحافظة عليها.

وبيّنت من خلال البحث ملخص ما أثبتته العلم من حقائق لا تقبل الجدل ولا تحتمل التأويل.

ثم بيّنت النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

Abstract

This paper illustrates the five sense organs - hearing , tasting , smelling , vision and feeling – in the Holy Quran . There are a lot of great things in the human body that Allah swear with. The Creator , Allah , creates human being in a good shape getting his food with his hands.

The paper speaks about these five senses and guides us to use them in the correct way to worship Allah Ta'ala . It speaks about the connection between the brain and these five senses in a way that each of them completes the other.

The Holy Quran mentions the hearing sense and its types in 109 locations. It speaks about hearing separately and combined it with vision in other situations. The Creator puts to man two lamps on the top of his head and clarifies the kinds of seeing. It shows the sense of smelling and tasting and the importance of them.

The Holy Quran , besides , illustrates the sense of feeling and how we feel things .It speaks about thumb prints - banan – which proved to be evidence in identifying personalities nowadays.

The paper clarifies the concern of Islam towards these senses and how to keep and take care of them through a lot of guidance that our Prophet Mohammed – peace be upon him – puts for us in the preventive health care. Islam obliged the necessity of paying the bloodmoney –

deyah – for each one of these senses in order to keep and take care of them.

Zabn aziz al-assafi

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد: لما كان القرآن الكريم أشرف العلوم كان الفهم لمعانيه من أوجب الواجبات لأن شرف العلم بشرف المعلوم الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة به السعادة الدنيوية والأخروية. فهو اشرف العلوم وأعظمها

ألا إنه البحرُ المحيط وغيرُهُ من الكتب أنهارٌ تمتد من البحرِ
تدبّر معانيه ورتلُّه خاشعاً تفز من الأسرار بالكنز والذخر
فمن المعلوم قطعاً أنه لا يستطيع أحد من العباد أن يحصي نعم الله عليه في خلق عضو من أعضائه أو حاسة من حواسه، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها؟ وإن تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴿النحل: ١٨﴾

إن هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى ليست مصادفة بل هي من خلق الله تعالى، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: الكلام بذكر الله، عز وجل، حَسَنٌ، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة (١).

(١) تفسير ابن كثير - (ج ٢ / ص ١٨٥)

واكبر نعمة أنعم الله تعالى بها عليه أن جعله إنساناً وكرمه، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] قال ابن كثير: (يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كما قال ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] أي: يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه - وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بضمه - وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية) (١).

وقال تعالى ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي من أعضاء وأجزاء وتراكيب وعدة أجهزة تبهر العقول في السمع وفي البصر وفي الشم وفي الذوق وفي الحس ومن داخل الجسم ما هو أعظم فحق أن يقسم بها (٢). وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]

قال الرازي: وذكروا في شرح ذلك الحُسن: أنه تعالى خلق كل ذي روح مكباً على وجهه إلا الإنسان فإنه تعالى خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده، وقال الأصم: في أكمل عقل وفهم وأدب وعلم وبيان (٣).

(١) المصدر نفسه - (ج ٥ / ص ٩٧)

(٢) أضواء البيان: ج ٨ / ص ٥٣٩.

(٣) التفسير الكبير: ج ٣٢ / ص ١١.

وقال تعالى ﴿يَأْيَاهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: 6- 8] قال الرازي: (قال مقاتل: يريد عدل خلقك في العينين والأذنين واليدين والرجلين فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع، وهو كقوله: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِّيَ بِنَاءُهُ﴾ [القيامة: 4] وتقريره ما عُرف في علم التشريح أنه سبحانه ركب جانبي هذه الجثة على التسوي حتى أنه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في أشكالها ولا في ثقبها ولا في الأوردة والشرايين والأعصاب النافذة فيها والخارجة منها)(١).

وفي هذا البحث سأعرف بالحواس الخمس، وأبين اهتمام القرآن الكريم بها والحث على استخدامها في طاعة الله تعالى من خلال بعض الشواهد من الآيات القرآنية، وكذلك العلاقة بين العقل والحواس. ثم استقصي الآيات التي وردت فيها هذه الحواس، وهي حاسة السمع، وحاسة البصر، وحاسة الشم، وحاسة الذوق، وحاسة اللمس.

وسيقصر البحث على الجانب اللغوي والتفسيري للحواس الإنسانية ولا أتطرق للجانب التشريحي لهذه الحواس إلا من باب النقل عن أهل التخصص إذا اقتضى المقام ذلك لأنني لست طبيباً، وهذا العلم له

(١) المصدر نفسه: ج ٣١/ص ٧٤.

أهله، ومن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب كما قيل، ومن تكلم
بغير تخصصه فهو أُميٌّ.

وسأقتصر على إيراد بعض الآيات التي ورد فيها ذكر الحواس من
باب المثال، لا الحصر. كون البحث مقيد بعدد الصفحات.

وهذا أوان الشروع فأقول وبالله التوفيق ومنه العون:

تعريف الحواس لغة واصطلاحاً:

الإحساس لغة: قال ابن منظر: الحِسُّ والحَسِيْسُ الصوتُ الخَفِيُّ قال
الله تعالى لا يَسْمَعُونَ حَسِيْسَهَا والحِسُّ بكسر الحاء من أَحَسَسْتُ
بالشيء حسَّ بالشيء يَحْسُ حَسًّا وَحِسًّا وَحَسِيْسًا وَأَحَسَّ بِهِ وَأَحَسَّهُ
شعر به، ويقال حَسْتُ بالشيء إذا علمته وعرفته قال ويقال أَحَسَسْتُ
الخبرَ وَأَحَسَّهُ وَحَسَيْتُ وَحَسْتُ إذا عرفت منه طَرَفًا.

والإحساس: العلم بالحواس وهي مشاعر الإنسان كالعين والأذن
والأنف واللسان واليد وحواس الإنسان المشاعر الخمس وهي الطعم
والشم والبصر والسمع واللمس (١).

واصطلاحاً: قال الجرجاني: (الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس،
فإن كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات، وإن كان للحس
الباطن فهو الوجدانيات) (٢).

(١) لسان العرب - (ج ٦ / ص ٤٩) مادة (حس)

(٢) التعريفات: ٣٣.

قال تعالى ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم: ١٩٨] ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ ببصر أو لمس ﴿ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ أي صوتاً خفياً فضلاً عن أن يكون جلياً، ببصر أو لمس (١).

اهتمام القرآن الكريم بالحواس والحث على استخدامها في طاعة الله تعالى:

هذه الحواس من الأمانات عند الإنسان أن يستخدمها في طاعة الله تعالى، وهو مسئول عنها إن استخدمها في غير ما لم تُخلق له. فمما أمرنا فيه تعالى باستعمال دلائل العقل والحواس قوله تعالى ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٩] قال ابن حزم: وصدق الله تعالى ما شكره من أبطل دلائل سمعه وبصره وعقله (٢).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ ﴾ [الأنعام:

[٤٦

قال الرازي: (أعلم أن المقصود من هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار، وتقريره أن أشرف أعضاء الإنسان هو السمع والبصر والقلب فالأذن محل القوة السامعة والعين محل القوة الباصرة، والقلب محل الحياة والعقل والعلم. فلو زالت هذه الصفات عن هذه الأعضاء اختل أمر الإنسان وبطلت مصالحه في الدنيا وفي الدين.

(١) نظم الدرر للبقاعي - (ج ٥ / ص ٢٢٩)

(٢) الإحكام لابن حزم: ج ١/ص ٦٥.

ومن المعلوم بالضرورة أن القادر على تحصيل هذه القوى فيها وصونها عن الآفات والمخافات ليس إلا الله.

وإذا كان الأمر كذلك، كان المنعم بهذه النعم العالية والخيرات الرفيعة هو الله سبحانه وتعالى فوجب أن يقال المستحق للتعظيم والثناء والعبودية ليس إلا الله تعالى وذلك يدل على أن عبادة الأصنام طريقة باطلة فاسدة(١).

وقد ذم القرآن الكريم من اكتفى بهذه الحواس لتؤدي مجرد الدور الحيواني في الحياة وأفسد دورها المعرفي، ولم يجعلها وسيلة لمعرفة الله وحشيته، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

قال الرازي: (فتقريره أن الإنسان وسائر الحيوانات متشاركة في قوى الطبيعة الغذائية والنامية والمولدة ومتشاركة أيضاً في منافع الحواس الخمس الباطنة والظاهرة وفي أحوال التخيل والتفكر والتذكر وإنما حصل الامتياز بين الإنسان وبين سائر الحيوانات في القوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به فلما أعرض الكفار عن اعتبار أحوال العقل والفكر ومعرفة الحق والعمل بالخير كانوا كالأنعام).

(١) التفسير الكبير: ج ١٢/ص ١٨٨.

ثم قال ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل والإنسان أعطي القدرة على تحصيلها ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان أخص حالاً ممن لم يكتسبها مع العجز عنها فلهذا السبب قال تعالى: بل هم أضل(١).

وقال الشوكاني: (جعل سبحانه قلوبهم لما كانت غير فاقهة لما فيه نفعهم وإرشادهم، غير فاقهة مطلقاً، وإن كانت تفقه في غير ما فيه النفع والإرشاد فهو كالعدم، وهكذا معنى ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فإن الذي انتقى من الأعين هو إبطار ما فيه الهداية بالتفكير والاعتبار، وإن كانت مبصرة في غير ذلك، والذي انتقى من الآذان هو سماع المواعظ النافعة، والشرائع التي اشتملت عليها الكتب المنزلة. وما جاءت به رسل الله، وإن كانوا يسمعون غير ذلك.

والإشارة بقوله: أولئك إلى هؤلاء المتصفين بهذه الأوصاف كالأنعام في انتفاء انتفاعهم بهذه المشاعر، ثم حكم عليهم بأنهم أضلّ منها، لأنها تدرك بهذه الأمور ما ينفعها ويضرّها، فينتفع بما ينفع، وتجتنب ما يضرّ، وهؤلاء لا يميزون بين ما ينفع وما يضرّ باعتبار ما طلبه الله منهم

(١) التفسير الكبير: ج ١٥/ص ٥٣ - ٥٤.

وكلفهم به، ثم حكم عليهم بالغفلة الكاملة لما هم عليه من عدم التمييز الذي هو من شأن من له عقل وبصر وسمع(١).

يا خادم الجسم كما تسعى لخدمته أتطلب الريح فيما هو خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

العلاقة بين العقل والحواس:

عند التأمل والنظر نجد أن علاقة قوية بين العقل والحواس فكل منهما مكمل للآخر وهذه العلاقة تقوم على عدم الاقتصار على كل واحد منهما بعينه، وعدم تفسير الآخر به، فلا الحس عقلاً، ولا العقل حساً. أي: أنهما مشتركان معاً، إذ كلاهما مخلوق لله في طبيعة الإنسان المخلوقة لله سبحانه والمشمولة برعايته وعنايته(٢).

فيجتمع عمل الحس والعقل معاً. أي: أن الإدراكات الحسية لا تستقل ولا تفرد بتحصيل المعرفة العلمية، فالحس وحده غير كاف في إقامة مثل هذه المعرفة مهما تكرر إدراكه للمدركات، بل لا بد من العقل الذي يتلقى مادة المدركات التي هيأتها له الحواس، فيقوم بفهمها وبترتيبها وتنظيمها ثم استنتاج دلالاتها المعنوية على ضوء المبادئ الفطرية، حيث تتم المعرفة(٣).

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

(١) فتح القدير: ج ٢/ص ٢٦٧.

(٢) ينظر: أصل المعرفة طرقها وأنواعها: ١٣٠.

(٣) ينظر: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي:

قال الرازي: (إن العلوم إما مستفادة من الحواس، أو من العقول. أما القسم الأول: فالإشارة بذكر السمع والبصر، فإن الإنسان إذا سمع شيئاً ورآه فإنه يرويّه ويخبر عنه، وأما القسم الثاني: فهو العلوم المستفادة من العقل وهي قسمان: البديهية والكسبية، وإلى العلوم العقلية الإشارة بذكر الفؤاد)(١).

وقال الشنقيطي: إن المعنى أنته عما لا يحل لك لأن الله أنعم عليك بالسمع والبصر والعقل لتشكره، وهو مختبرك بذلك وسائلك عنه، فلا تستعمل نعمه في معصيته(٢).

فالحواس وحدها لا تحقق المعرفة المرجوة لأن هذا من مهام العقل من خلال مبادئه الفطرية، فالعلم إنما هو عملية تفاعل ثنائي بين الحواس والعقل، فهي بمحصولها من الإدراكات، والعقل بما فيه من مبادئ أولية يوظفها في تلك المادة الحسية(٣).

لذلك كان النبي ﷺ يستعيد من الكسل والعجز والهرم فيقول: (اللهم فإني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم)(٤). والهرم هو الرد إلى أرذل العمر لما فيه من اختلال العقل والحواس والضبط والفهم وتشويه بعض المنظر والعجز عن كثير من الطاعات والتساهل في بعضها والمغرم هو الدين(٥).

(١) التفسير الكبير ج: ٢٠/ص ١٦٨.

(٢) أضواء البيان - (ج ٣ / ص ٢٢٦)

(٣) ينظر: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: ٤٩٩.

(٤) صحيح مسلم ج: ٤/ص ٢٠٧٨، حديث رقم (٥٨٩)

(٥) الديباج على مسلم ج: ٦/ص ٦٢.

قال ابن الجوزي: وينبغي اغتنام التصنيف في وسط العمر، لأن أوائل العمر زمن الطلب، وآخره كلال الحواس(١).

أما الحواس الخمس فهي:

أولاً: حاسة السمع:

تعريف السمع لغة واصطلاحاً:

لغة: السَّمْعُ حِسُّ الأُذُنِ(٢).

قال الراغب: ويعبر تارة بالسمع عن الأذن نحو: ﴿حَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ

وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]

وتارة عن فعله كالسمع نحو قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ﴾

[الشعراء: ٢١٢]

وتارة عن الفهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا

دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] أي فهمنا وارتسمنا(٣).

واصطلاحاً: (هو قوة مرتبة في العصب المنبسطة في السطح الباطن من

صماخ الأذن من شأنها أن تدرك الصوت المحرك للهواء الراكد في

مقعر صماخ الأذن عند وصوله إليه بسبب ما)(٤).

أهمية السمع:

(١) صيد الخاطر: ٢٢٩.

(٢) لسان العرب - (ج ٨ / ص ١٦٢) مادة (سمع)

(٣) المفردات في غريب القرآن: ج ١ / ص ٢٤٢.

(٤) كتاب الكليات: ج ١ / ص ٤٩٥

حاسة السمع تحرس البدن عند الضرر بملاقاة الأصوات الضارة بأن تتألم بها هذه الحاسة وتجلب إلى البدن النفع بالأصوات النافعة، بأن تلتذ هذه الحاسة فتحرض النفس على استماعها والاستكثار منها(١). وقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بحاسة السمع، حتى أنه ذُكر بلفظ السمع ومشتقاته في مائة وتسعة وثلاثين موضعاً منه.

فإن الاستماع سلم الوعي والفهم، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨].

وقال جل وعلا في شأن موسى عليه السلام ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه - ١٣].

قال وهب بن منبه: أدب الاستماع سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع لما يحب الله(٢).

الأذنان شقهما تبارك وتعالى في جانبي الوجه وأودعهما من الرطوبة ما يكون معيناً على إدراك السمع وأودعهما القوة السمعية وجعل سبحانه في هذه الصدقة انحرافات واعوجاجات لتطول المسافة قليلاً فلا يصل الهواء إلا بعد انكسار حدته فلا يصدمها وهلة واحدة فيؤذيها وأيضاً لئلا يفجأها الداخل إليها من الدبيب والحشرات بل إذا دخل إلى عوجة من تلك الانعطافات وقف هناك فسهل إخراجها.

(١) شرح تشريح القانون لابن سينا - (ج ١ / ص

(٢) خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة - (ج ١ / ص ١٩٤)

وكانت العينان في وسط الوجه والأذنان في جانبيه لأن العينين محل الملاحظة والزينة والجمال وهما بمنزلة النور الذي يمشي بين يدي الإنسان وأما الأذنان فكان جعلهما في الجانبين لكون إدراكهما لما خلف الإنسان وأمامه وعن يمينه وعن شماله سواء فتأتي المسموعات إليهما على نسبة واحدة وخلقت العينان بغطاء والأذنان بغير غطاء وهذا في غاية الحكمة إذ لو كان للأذنين غطاء لمنع الغطاء إدراك الصوت فلا يحصل إلا بعد ارتفاع الغطاء والصوت عرض لا ثبات له فكان يزول قبل كشف الغطاء بخلاف ما ترى العين فإنه أجسام وأعراض لا تزول فيما بين كشف الغطاء وفتح العين وجعل سبحانه الأذن عضواً غضروفياً ليس بلحم مسترخ ولا عظم صلب بل هي بين الصلابة واللين فتقبل بليتها وتحفظ بصلابتها ولا تتصدع انصداع العظام ولا تتأثر بالحر والبرد والشمس والسموم تأثر اللحم إذ المصلحة في بروزها لتتلقى ما يرد عليها من الأصوات والأخبار (١).

إضافة إلى ذلك أن القرآن الكريم إذا ذكر بعض الحواس، فإنه يقدم السمع غالباً. حتى اختلف المفسرون في أفضلية السمع والبصر إلى فريقين:

الأول: يرون أن السمع أفضل الحواس الظاهرة فإن التعليم والتعلم والنطق موقوف عليه وهو يتعلق بالقريب والبعيد، لذا قدم الله السمع على البصر. واستدلوا ببعض الحجج منها:

(١) التبيان في أقسام القرآن: ج ١/ص ١٩٢.

١. أن السمع ورد في القرآن مقدماً على البصر في كثير من الآيات القرآنية، والتقديم يدل على التفضيل (١).
- من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٤٢]
- قال الرازي: (إن الله تعالى قرن بذهاب السمع ذهاب العقل ولم يقرن بذهاب النظر إلا ذهاب البصر فوجب أن يكون السمع أفضل من البصر) (٢).
٢. أن التعلم لا يمكن إلا بقوة السمع، ولا يتوقف على قوة البصر، فكان السمع أفضل من البصر، فكم من عالم نحري في شتى العلوم وهو كفيف.
٣. أن السمع يُدرك به من الجهات الست، وفي النور والظلمة، ولا يدرك بالبصر إلا من الجهة المقابلة وبواسطة من ضياء وشعاع (٣).
٤. أن السمع أهم في إقامة الحجة على الناس، إذ أن البصر لا يعدو أن يكون تسلية بالمعجزة إلى زمان مشاهدتها، ولمن شاهدها وحسب، أما السمع فطريق أعم وأشمل وأطول في مداه وزمانه، وذلك انبثاقاً من طبيعة الدين نفسه وهي العموم والخلود (٤).

(١) التفسير الكبير: ج ٢/ص ٤٩.

(٢) المصدر نفسه: ج ١٧/ص ٨٢.

(٣) تفسير القرطبي: ج ١/ص ١٨٩.

(٤) ينظر: أصل المعرفة طرقها وأنواعها: ٧٣.

يقول بشار بن برد :

يا قوم أذني لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأُذُنُ تُعَشِّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا (١)

أما المواضع التي خولفت فيها هذه الظواهر العامة، فقدم البصر على السمع، فهي كآلاتي:

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾

[هود: ٢٤]

قال الكردي: فالكلام هنا عن تعطيل الحواس، وفي مجال التعطيل تتأكد أهمية السمع وتقدمه على البصر، فالأولى من أجل مصلحة الإنسان أن يتعطل بصره ولا يتعطل سمعه إذا كان لا بد أن يفقد أحدهما، وبهذا التفسير نجعل هذه الآية منسجمة مع القاعدة السابقة- أن السمع أهم من البصر، والتقدم اللفظي للبصر على السمع لا يؤثر على ما تقدم(٢).

كذلك قوله تعالى ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا

مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]

هذا يوم القيامة حيث تفقد الحواس دورها في المعرفة.

أما الفريق الثاني: فاستدلوا بالآتي:

١. أن في العين جمال الوجه دون السمع. نقل الرازي عن ابن الأنباري

قوله: كيف يكون السمع أفضل من البصر وبالبصر يحصل

جمال الوجه وبذهابه عيبه وذهاب السمع لا يورث الإنسان

(١) ديوانه: ٤١٥.

(٢) أصل المعرفة طرقها وأنواعها: ٧٦.

عيباً، العرب تسمى العينين الكريمتين ولا تصف السمع بمثل هذا(١).

٢. ومنهم من قدم البصر لأن آلة القوة الباصرة أشرف ولأن متعلق القوة الباصرة هو النور ومتعلق القوة السامعة الريح(٢).

والفريق الثالث: ذهبوا إلى التساوي بين الحواس.

قال النيسابوري: (والحق أن من فقد حساً فقد فقد علماً وهو المتوقف على ذلك الحس، ولا ريب أن معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر والإرشاد، والتعليم على الإطلاق يتوقف على السمع، فكل من الحواس في موضعه ضروري، وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل)(٣).

فهذا التقديم ليس للتفضيل لأن لكل حاسة وظيفة خصها الله بها، والتقديم هنا بحسب السياق القرآني، مثل تقديم المال على النفس، قال تعالى ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١] فالنفس أهم من المال بطبيعة الحال ولكن الله تعالى قدم المال عليها.

وكذلك في تقديم الوصية على الدين مع أن الدين أهم، لقول النبي ﷺ: (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه)(٤).

قال تعالى ﴿مَنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١]

قال أبو حيان (وقدم الوصية على الدين وإن كان أداء الدين هو المقدم على الوصية بإجماع اهتماماً بها وبعثاً على إخراجها إذ كانت مأخوذة

(١) التفسير الكبير: ج ١٧/ص ٨٣.

(٢) التفسير الكبير: ج ٢/ص ٤٩.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان - (ج ١ / ص ١٥٤)

(٤) سنن ابن ماجه - (ج ٢ / ص ٨٠٦)

من غير عوض شاقاً على الورثة إخراجها مظنة للتفريط فيها بخلاف الدين فإنّ نفس الوارث موطنة على أدائه ولذلك سوى بينها وبين الدين بلفظ أو في الوجوب أو لأنّ الوصية مندوب إليها في الشرع محضوض عليها فصارت للمؤمن كالأمر اللازم له والدين لا يلزم أن يوجد إذ قد يكون على الميت دين وقد لا يكون فبديء بما كان وقوعه كاللزام وآخر ما لا يلزم وجوده(١).

الحكمة من إفراد السمع وجمع البصر في القرآن الكريم: قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن الله تعالى أراد بنا شيئاً، وأراد منا شيئاً، فما أرادنا بنا طواه عنا، وما أرادنا منا أظهره لنا، فما بالناس نشتغل بما أرادنا بنا عما أرادنا منا)(٢).

لكن من الملاحظ أن في الكثير من الآيات ما يأتي السمع بالإفراد والبصر بالجمع، كقوله تعالى:

﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٧] والحكمة من ذلك أو سر التعبير القرآني يكمن في الآتي:

(١) أنه أريد بالسمع المصدر، والمصدر لا يجمع بخلاف البصر. قال الزمخشري: (السمع مصدر في أصله، والمصادر لا تجمع)(٣).

(١) تفسير البحر المحيط: ج ٣/ص ١٩٤.

(٢) تراثنا الفكري- محمد الغزالي: ٨١.

(٣) الكشاف: ج ١/ص ٩٢.

(٢) الأبصار أيضاً متفاوتة التعلق بالمرئيات التي فيها دلائل الوجدانية في الآفاق، وفي الأنفس التي فيها دلالة، فلكل بصر حظه من الالتفات إلى الآيات المعجزات والعبور والمواضع، فلما اختلفت أنواع ما تتعلقان به جمعت. وأما الأسماع فإنما كانت تتعلق بسمع ما يلقى إليها من القرآن فالجماعات إذا سمعوا القرآن سمعوه سماعاً متساوياً وإنما يتفاوتون في تدبره والتدبر من عمل العقول فلما اتحد تعلقها بالمسموعات جعلت سمعاً واحداً (١).

(٣) لعلّ إفراد السمع وجمع الأبصار جرى على ما يقتضيه تمام الفصاحة من خفة أحد اللفظين مفرداً والآخر مجموعاً عند اقترانهما، فإنّ في انتظام الحروف والحركات والسكنات في تنقل اللسان سراً عجباً من فصاحة كلام القرآن المعبر عنها بالنظم (٢).

وربما من يقول: إن البصر ورد في القرآن الكريم مفرداً في قوله تعالى ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

والجواب عن ذلك: أن البصر ورد هنا مفرداً لأن الحق سبحانه وتعالى يتحدث عن المسؤولية، ومسؤولية كل إنسان عن سمعه وبصره، والمسؤولية أمام الحق سبحانه وتعالى فردية لا يسأل أحد عن

(١) التحرير والتنوير : - (ج ١ / ص ٢٥٦).

(٢) التحرير والتنوير : (ج ٧ / ص ٢٣٤).

أحد، بل يسأل عن نفسه فحسب، فناسب ذلك أن يقول: السمع والبصر، لأنه سيسأل عن بصر واحد هو بصره (١).

وترتخي عضلات الإنسان أثناء النوم مع وجود تحرك تلقائي في الأطراف في أوقات معينة لتقليب الجسم بصرف النظر عن عمق النوم وشفافيته، وتتعمل نسبياً كافة الحواس عدا حاسة السمع فإنها تبقى عاملة مع خفة الاستجابة للأصوات لذا فالصوت العالي يوقظ النائم، وما الضرب على آذان أهل الكهف إلا لمنع وصول الأصوات من الوصول إليهم لتلا يستيقظوا حتى يصلوا أجلهم المحدد. قال تعالى ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١] أقسام السمع:

ورد السمع على وجوه منها:

الأول: السمع بمعنى التفضل والنعمة على عباده: ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]

جعل لكم هذه الأشياء لتحصلوا بها العلم الذي كان مسلوباً عنكم عند إخراجكم من بطون أمهاتكم، وتعملوا بموجب ذلك العلم من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه (٢).

وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١]

(١) تفسير الشعراوي: ١٤/٨٥٤٣.

(٢) فتح القدير - (ج ٤ / ص ٢٤٨)

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٨]

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٩]

أمر سبحانه رسوله ﷺ أن يخبرهم بأن الله هو الذي أنشأهم النشأة الأولى وجعل لهم السمع ليسمعوا به والأبصار ليبصروا بها ووجه إفراد السمع مع جمع الأبصار أنه مصدر يطلق على القليل والكثير (١).

الثاني: بمعنى الإفهام، ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٠] أي: لا تفهمهم.

الثالث: بمعنى أصل السمع: وهي تتحدث عن امتناع الكفار عن أصل السمع، ويدل لهذا الوجه: أن بعض الكفار ربما امتنع من أصل الاستماع خوف أن يسمع كلام الأنبياء (٢). كما في قوله تعالى عن نوح مع قومه ﴿ وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَنْغَرَّ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٧] . حيث ذكر الكل وأراد الجزء.

قال صاحب الظلال: وآذانهم لا تسع أصابعهم كاملة، إنما هم يسدونها بأطراف الأصابع. ولكنهم يسدونها في عنف بالغ، كأنما

(١) المصدر نفسه: ج/٥/ص ٢٦٤.

(٢) أضواء البيان - (ج ١ / ص ٥٥)

يحاولون أن يجعلوا أصابعهم كلها في آذانهم ضماناً لعدم تسرب الصوت إليها بتاتاً^(١).

وجعل الأصابع في الآذان يمنع بلوغ أصوات الكلام إلى المسامع . وأطلق اسم الأصابع على الأنامل على وجه المجاز المرسل بعلاقة البعضية فإن الذي يجعل في الأذن الأنملة لا الأصبع كله فعبر عن الأنامل بالأصابع للمبالغة في إرادة سد المسامع بحيث لو أمكن لأدخلوا الأصابع كلها، واستغشاء الثياب: جعلها غشاء، أي: غطاء على أعينهم، تعضيداً لسد آذانهم بالأصابع لتلا يسمعون كلامه ولا ينظروا إشاراته. وأكثر ما يطلق الغشاء على غطاء العينين، قال تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧٧]. والسين والتاء في {استغشوا} للمبالغة .

فيجوز أن يكون جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب هنا حقيقة بأن يكون ذلك من عادات قوم نوح إذا أراد أحد أن يظهر كراهية لكلام من يتكلم معه أن يجعل أصبعيه في أذنيه ويجعل من ثوبه ساتراً لعينه^(٢).

وقوله تعالى عن قوم نينا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت : ٢٦]

(١) في ظلال القرآن - (ج ٧ / ص ٣٤٦)

(٢) التحرير والتنوير - (ج ١٥ / ص ٣٣٣)

أي: ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من الحق لا تسمعوا أي شيئاً من مطلق السماع لهذا القرآن (١).

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ لهود: [٢٠]

قال قتادة: صموا عن سمع الحق فلا يسمعون خيراً فينتفعون به ولا يبصرون خيراً فيأخذون به .

وقال ابن عباس: أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أحال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فإنه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فإنه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم (٢) .

الرابع: السمع بمعنى الإجابة لما يسمع: ومنه قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] قال الإمام الرازي: اعلم أنه تعالى لما وصف إيمان هؤلاء المؤمنين وصفهم بعد ذلك بأنهم يقولون : سمعنا وأطعنا، فقوله { سَمِعْنَا } ليس المراد منه السماع الظاهر، لأن ذلك لا يفيد المدح، بل المراد أنا سمعناه بآذان عقولنا، أي عقلناه وعلمنا صحته، وتيقنا أن كل تكليف ورد على لسان الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلينا فهو حق صحيح واجب القبول والسمع بمعنى القبول والفهم وارد في القرآن، قال الله تعالى ﴿

(١) نظم الدرر للبقاعي - (ج ٧ / ص ٣٥٥)

(٢) تفسير الخازن - (ج ٣ / ص ٤٤٧)

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ [ق : ٣٧] والمعنى: لمن سمع الذكرى بفهم حاضر، وعكسه قوله تعالى ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان : ١٧] ثم قال بعد ذلك { وَأَطَعْنَا } فدل هذا على أنه كما صح اعتقادهم في هذه التكاليف فهم ما أدخلوا بشيء منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بأبواب التكليف علماً وعملاً (١).

وبين القرآن الكريم أن حقيقة الإيمان تكمن في السمع والطاعة، فقال الله تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] قال السعدي: (ولما ذكر حالة المعرضين عن الحكم الشرعي، ذكر حالة المؤمنين المدوحين، فقال ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقيقة الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها، ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج. { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } حصر الفلاح فيهم، لأن الفلاح: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلا من حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله (٢).

(١) التفسير الكبير: ج ٧/ص ١١٩.

(٢) تفسير السعدي: ٦٠٨.

وربط القرآن بين السمع وحضور القلب. قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [لق: ٣٧] {إِنَّ فِي ذَلِكَ} الإهلاك للأمم المكذبة السابقة {لذكري} أي: لتذكرة وعبرة {لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} أي: لمن كان له قلب يعي ما يسمع، ويعقل ما يوجه إليه، ويعمل بمقتضى هذا التوجيه الحكيم. {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} أي: فيما سقناه عبرة وعظة لمن كان له قلب يعي الحقائق، ولمن أصغى إلى ما يلقي إليه من إرشادات، وهو حاضر الذهن صادق العزم لتنفيذ ما جاءه من الحق (١).

وهذا الصنف من المؤمنين حريص على الوقت ولا يضيعه بسماع لا طائل تحته، قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥]

قال صاحب الظلال: واللغو فارغ الحديث، الذي لا طائل تحته، ولا حاصل وراءه، وهو الهذر الذي يقتل الوقت دون أن يضيف إلى القلب أو العقل زاداً جديداً، ولا معرفة مفيدة، وهو البذيء من القول الذي يفسد الحس واللسان، سواء أوجه إلى مخاطب أم حكي عن غائب. والقلوب المؤمنة لا تلغو ذلك اللغو، ولا تستمع إلى ذلك الهذر، ولا تغنى بهذا البذاء. فهي مشغولة بتكالييف الإيمان، مرتفعة بأشواقه، متطهرة بنوره ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾

(١) الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٣٩٦٣)

ولكنهم لا يهتاجون ولا يفتاظون ولا يجارون أهل اللغو فيردون عليهم بمثله، ولا يدخلون معهم في جدل حوله، لأن الجدل مع أهل اللغو لغو؛ إنما يتركونهم في موادة وسلام .

﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هكذا في أدب، وفي دعاء بالخير، وفي رغبة في الهداية مع عدم الرغبة في المشاركة ﴿لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ ولا نريد أن ننفق معهم وقتنا الثمين ، ولا أن نجاريهم في لغوهم أو نسمع إليه صامتين! إنها صورة وضيفة للنفس المؤمنة المطمئنة إلى إيمانها (١).

وقوله تعالى ﴿وَتَعْيِبَهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢] أي: من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكير فيه ولا تضيعه بترك العمل به وعن قتادة الواعية هي التي عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتاب الله تعالى (٢).

الخامس: بمعنى سماع جارحة الأذن، السماع الذي لا ينافي العصيان: ومنه قوله تعالى ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَرَظِيْرًا﴾ [الفرقان: ١٢] وقوله تعالى ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩] وقال تعالى ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣] أي: بالأذان وعصينا بالجنان (٣).

(١) في ظلال القرآن - (ج ٥ / ص ٤٣٣)

(٢) روح المعاني: ج ٢٩ / ص ٤٣ .

(٣) ينظر: نظرة النعيم: ٦/ ٢٣٠٣ .

قال الشوكاني: (أي: سمعنا قولك بحاسة السمع، وعصيناك، أي: لا نقبل ما تأمرنا به) (١).

لأن السمع الذي لا يبعد الإنسان عن المعاصي هو السمع بالأذان فقط دون السمع بمعنى الإجابة.

قوله تعالى ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦]

وقال تعالى ﴿وَإِذَا تَتلى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتُلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ [الحج :

[٧٢

وهكذا ترى أهل البدع المضلة إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز، أو من السنة الصحيحة مخالفاً لما اعتقده من الباطل والضلالة رأيت في وجهه من المنكر ما لو تمكن من أن يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين (٢).

السادس: بمعنى تعطيل الانتفاع بها فيما أمر به خالقها: قال تعالى ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]

(١) فتح القدير: ج/١/ص ١١٤.

(٢) فتح القدير: ج/٣/ص ٤٦٨.

قال الشنقيطي رحمه الله: ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أن الكفار صرحوا للنبي ﷺ ، بأنهم لا يستجيبوا له ولا يؤمنون به، ولا يقبلون منه ما جاءهم به فقالوا له: قلوبنا التي نعقل بها، ونفهم في أكنة، أي: أغطية .

والأكنة، جمع كنان، وهو الغطاء والغلاف الذي يغطي الشيء ويمنعه من الوصول إليه.

ويعنون أن تلك الأغطية، مانعة لهم من فهم ما يدعوهم إليه ﷺ ، وقالوا إن في آذانهم التي يسمعون بها وقرأ أي: ثقلاً وهو الصمم. وأن ذلك الصمم مانع لهم من أن يسمعوا من النبي ﷺ شيئاً مما يقول، كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا ﴾ [فصلت : ٢٦] .

وأن من بينهم وبينه حجاباً، مانعاً لهم من الاتصال والاتفاق، لأن ذلك الحجاب يحجب كلا منهما عن الآخر، ويحول بينهم وبين رؤية ما بيديه ﷺ من الحق.

والله جل وعلا ، ذكر عنهم هذا الكلام في معرض الذم، مع أنه تعالى صرح بأنه جعل على قلوبهم الأكنة، وفي آذانهم الوقر، وجعل بينهم وبين رسوله حجاباً، عند قراءته القرآن ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٤٦] . وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا
بِهَا ﴿ [الأنعام : ٢٥]

وقال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٥٧] .

وهذا الإشكال الذي أشرنا إليه في هذه الآيات قوي، ووجه كونه
مشكلاً ظاهراً، لأنه تعالى ذمهم على دعواهم الأكنة والوقر
والحجاب في هذه الآية قوي، ووجه كونه مشكلاً ظاهراً، لأنه تعالى
ذمهم على دعواهم الأكنة والوقر والحجاب في هذه الآية الكريمة
من فصلت ، وبين في الآيات الأخرى أن ما ذمهم على ادعائه واقع بهم
فعلاً، وأنه تعالى هو الذي جعله فيهم .

فيقال: فكيف يذمون على قول شيء، هو حق في نفس الأمر.

والتحقيق في الجواب عن هذا الإشكال، هو ما ذكرناه مراراً، من
أن الله إنما جعل على قلوبهم الأكنة، وطبع عليها وختم عليها وجعل
الوقر في آذانهم، ونحو ذلك من الموانع من الهدى، بسبب أنهم بادروا
إلى الكفر، وتكذيب الرسل طائعين مختارين، فجزاهم الله على
ذلك الذنب الأعظم ، طمس البصيرة، والعمى عن الهدى، جزاء
وفاقاً.

فالأكنة والوقر والحجاب المذكورة إنما جعلها الله عليهم، مجازاة
لكفرهم الأول (١) .

(١) أضواء البيان: ج٧/ص٧.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]

السابع: السمع بمعنى الشهادة على الإنسان: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠]

إنها المفاجأة الهائلة في الموقف العصيب، وسلطان الله الذي تطيعه جوارحهم وتستجيب، وهم يوصمون بأنهم أعداء الله، فما مصير أعداء الله؟ إنهم يحشرون ويجمع أولهم على آخرهم وآخرهم على أولهم كالقطيع! إلى أين؟ إلى النار! حتى إذا كانوا حيالها وقام الحساب، إذا شهود عليهم لم يكونوا لهم في حساب، إن ألسنتهم معقودة لا تنطق، وقد كانت تكذب وتفتري وتستهزئ.

وإن أسمعهم وأبصارهم وجلودهم تخرج عليهم، لتستجيب لربها طائفة مستسلمة، تروي عنهم ما حسبه سراً، فقد يستترون من الله، ويظنون أنه لا يراهم وهم يتخفون بنواياهم، ويتخفون بجرائمهم، ولم يكونوا ليستخفوا من أبصارهم وأسماعهم وجلودهم، وكيف وهي معهم؟ بل كيف وهي أبعاضهم؟! وها هي ذي تفضح ما حسبه مستوراً عن الخلق أجمعين، وعن الله رب العالمين! يا للمفاجأة بسلطان الله الخفي، يغلبهم على أبعاضهم فتلي وتستجيب! } وقالوا لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ { فإذا هي تجبههم بالحقيقة التي خفيت عليهم في

غير مواربة ولا مجاملة: { قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء }
 ؟أليس هو الذي جعل الألسنة هي الناطقة؟ وإنه لقادر على أن يجعل
 سواها. وقد أنطق كل شيء فهو اليوم يتحدث وينطق ويبين. { وهو
 خلقكم أول مرة وإليه ترجعون } فإليه المنشأ وإليه المصير، ولا مفر
 من قبضته في الأول وفي الأخير. وهذا ما أنكروه بالعقول وهذا ما
 تقرر له الجلود (١).

ورحم الله أمير الشعراء شوقي إذ يقول:

تَغْيِرَ الْمَسْجِدَ الْمَحْزُونُ وَاخْتَلَفَتْ عَلَى الْمَنَابِرِ أَحْرَارٌ وَعَبِيدَانُ
 فَلَا الْأَذَانَ أَذَانٌ فِي مَنَارَتِهِ إِذَا تَعَالَى وَلَا الْأَذَانَ أَذَانُ (٢).

ثانياً: حاسة البصر:

تعريف البصر لغة واصطلاحاً:

لغة: البَصْرُ العَيْنُ إِلَّا أَنَّهُ مَذْكُورٌ وَقِيلَ البَصْرُ حَاسَةُ الرُّؤْيَا، والجمع
 أَبْصَارٌ بَصْرٌ بِهِ بَصْرًا وَبَصَارَةً وَبَصَارَةً وَأَبْصَرَهُ وَتَبَصَّرَهُ نَظَرَ إِلَيْهِ (٣).
 واصطلاحاً: البصر قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان
 فتفترقان إلى العينين من شأنها أن تدرك ما ينطبع في الرطوبة
 الجامدية من أشباح صور الأجسام بتوسط المشف (٤).

(١) في ظلال القرآن - (ج ٦ / ص ٢٩٢)

(٢) الشوقيات: ٦١٦.

(٣) لسان العرب - (ج ٤ / ص ٦٤)

(٤) كتاب الكليات: ج ١ / ص ٢٤٧.

وقال الزمخشري: البصر: هو الجوهر اللطيف الذي ركبته الله في حاسة النظر، به تُدرك المبصرات (١).

والأبصار جمع بصر، وهو اسم للقوة التي بها النظر المنتشرة في إنسان العين الذي في وسط الحدة وبه إدراك المبصرات (٢).

والعين من الألفاظ المشتركة وتأتي لعدة معاني منها:

١. العين الجارية، كقوله تعالى ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨] وقوله تعالى ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] أي منها وقيل عينا يشربها والوجه أن لا يصرف ذلك عما عليه وأن العين ههنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء لا إلى الماء بعينه (٣).

٢. العين الجارحة.

٣. وقيل للذهب عين تشببها بها في كونها أفضل الجواهر.

٤. ومنه قيل أعيان القوم لأفاضلهم.

٥. ويقال لمنبع الماء عين تشببها بها لما فيها من الماء.

٦. وتستعار العين للميل في الميزان.

٧. وقيل للمتجسس عين تشببها بها في نظرها.

والبصر: نعمة كبرى بها نرى الأشياء المختلفة تقدر أحجامها وأبعادها وألوانها وأشكالها وقد تسحر العين أو تخدع كأن ترى الشمس

(١) الكشاف: ج ٢/ص ٥١.

(٢) التحرير والتنوير - (ج ٧ / ص ٤١٤).

(٣) غريب القرآن للأصفهاني - (ج ١ / ص ٧١).

كفرص الخبز وهي كالأرض : (١.٣٥٠.٠٠٠) مرة، أو ترى العصا في حوض الماء مكسورة عند سطح الانفصال ، أو ترى المنازل من الطائرة كعلب السجائر، ومجال عملها الواضح محدود بعدد من الأمتار، لكنه يمتد بصفة مجملة إلى غير حقيقة ، وكل ما يأتينا منها لا نقبله بالتسليم المطلق، فقد يرينا الساحر التراب ذهباً.

ولكنها آلة هامة جداً في بناء العلوم الإنسانية، ومعظم الأشياء المطعومة، والمشمومة والملموسة، تقع تحت رؤية العين (١).

جعل الله للإنسان مصباحين من نور كالسراج المضيء مركبين في أعلى مكان منه وفي أشرف عضو من أعضائه طليعة له وركب هذا النور في جزء صغير جدا يبصر به السماء والأرض وما بينهما وغشاها بسبع طبقات وثلاث رطوبات بعضها فوق بعض حماية له وصيانة وحراسة وجعل على محله غلقا بمصراعين أعلا وأسفل وركب في ذيل المصراعين أهدابا من الشعر وقاية للعين وزينة وجمالا وجعل فوق ذلك كله حاجبين من الشعر يحجبان العين من العرق النازل ويتلقيان عنها ما ينصب من هناك، وجعل سبحانه لكل طبقة من طبقات العين شغلا مخصوصا، ولكل واحد من الرطوبات مقدارا مخصوصا لو زاد على ذلك أو نقص منه لاختلت المنافع والمصالح المطلوبة، وجعل هذا النور الباصر في قدر عدسة، ثم أظهر في تلك العدسة صورة السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والعالم العلوي والسفلي مع

(١) كتاب توحيد الخالق - (ج ١ / ص ١١٧)

اتساع أطرافه وتباعد أقطاره، واقتضت حكمته سبحانه أن جعل فيها بياضاً وسواداً، وجعل القوة الباصرة في السواد، وجعل البياض مستقراً لها ومسكناً، وزين كلاً منهما بالآخر وجعل الحدقة مصنونة بالأجفان والحواجب، كما تقدم والحواجب بالأهداب وجعلها سوداء إذ لو كانت بيضاء لتفرق النور الباصر فضعف الإدراك، فإن السواد يجمع البصر ويمنع من تفرق النور الباصر، وخلق سبحانه لتحريك الحدقة وتقليبها أربعاً وعشرين عضلة لو نقصت عضلة واحدة لاختل أمر العين.

ولما كانت العين كالمرآة التي إنما تتطبع فيها الصور إذا كانت في غاية الصقالة والصفاء، جعل سبحانه هذه الأجفان متحركة جداً بالطبع إلى الانطباق من غير تكلف لتبقى هذه المرآة نقية صافية من جميع الكدورات، ولهذا لما لم يخلق لعين الذبابة أجفاناً فإنها لا تزال تراها تتظف عينها بيدها من آثار الغبار والكدورات (١).

وكما جعل سبحانه العينين مؤديتين للقلب ما يريانه فيوصلانه إليه كما تراه جعلهما مرأتين للقلب يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب، والبغض، والخير والشر، والبلادة والفتنة، الزيغ، والاستقامة، فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب وهو أحد أنواع الفراسة الثلاثة وهي فراسة العين وفراسة الأذن وفراسة القلب فالعين مرآة

(١) التبيان في أقسام القرآن: ج ١/ ص ١٩١.

للقلب وطلبيعة ورسول ومن عجيب أمرها أنها من أطف الأعضاء وأبعدها تأثراً بالحر والبرد (١).

قال الإمام الغزالي: وحاسة البصر، يدرك بها الألوان والأشكال، وهو أوسع عالم المحسوسات (٢).

وحاسة البصر تدرك الأشياء المحاذية لها أو لصقيل يحاذيها وإن بعدت جداً سواء كانت تلك الأشياء ضارة أو نافعة، فلذلك هي أولى بالحراسة من غيرها من الحواس إنما يلزم في العين أن تكون قريبة جداً من الدماغ لتكون الروح فيها كما هي في الدماغ حتى يكون الشبح الواقع فيها وهي في العين باقياً على حاله ومقداره، إذا حصلت تلك الروح في الدماغ فلا يتغير في شيء من ذلك لأجل تغير حال الروح بسبب التجمع التابع لليبوسة والانبساط والتابع لكثرة الرطوبة ونحو ذلك (٣).

نعمة النوم: في النوم أماناً وأماناً من القلق والخوف لذا فقد غشى الله جنود المسلمين بالنعاس أمانة لهم في غزوة بدر، وربط على قلوبهم ليبعد عنهم القلق والخوف وقد كانوا قلة أمام أعدائهم (٤).

قال تعالى ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١]

(١) التبيان في أقسام القرآن: ج ١/ص ١٩١.

(٢) المنقذ من الضلال: ١٣٠.

(٣) شرح تشريح القانون لابن سينا: ١.

(٤) روائع الطب الإسلامي - (ج ١ / ص ٥٦).

والنعاس أول النوم قبل أن يثقل (١). وهو ليس نوماً بل فتور في الأعصاب يعقبه النوم، وهذا من آيات الله تعالى في أن يهب الإنسان راحة مؤقتة وليست نوماً.

والمعنى: أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم، فلما طمأن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه: النعاس في القتال أمانة من الله، وفي الصلاة وسوسة من الشيطان (٢).

ومن هديه ﷺ في علاج الفزع، والأرق المانع من النوم: حينما شك خالد بن الوليد المخزومي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق فقال النبي ﷺ: (إذا أويت إلى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط علي أحد منهم أو أن يبغي عز جارك وجل ثاؤك ولا إله غيرك لا إله إلا أنت) (٣).

أنواع البصر:

قال ابن الجوزي: ذكر بعض أهل العلم أن البصر في القرآن الكريم على أربعة أوجه (٤):

(١) روح المعاني: ج ٩/ص ١٧٥.

(٢) الكشف: ج ٢/ص ١٩٣.

(٣) سنن الترمذي ج ٥/ص ٥٣٨، حديث رقم (٣٥٢٣).

(٤) نزهة الأعين النواضر: ٢٠٠ - ٢٠١.

الأول: البصر بالقلب: ومنه قوله تعالى ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨]

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]

الثاني: البصر بالعين: ومنه قوله تعالى ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [لق: ٢٢] وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [الأنفال: ٤٤]

قال الشوكاني: (أي واذكروا وقت إراءتكم إياهم حال كونهم قليلاً، حتى قال القائل من المسلمين لآخر: أتراهم سبعين؟ قال: هم نحو المائة. وقلل المسلمين في أعين المشركين حتى قال قائلهم: إنما هم أكلة جزور، وكان هذا قبل القتال، فلما شرعوا فيه كثر الله المسلمين في أعين المشركين، كما قال ﴿ يَرَوْنَهُمْ مَثَلِيهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ [آل عمران: ١٣] ووجه تقليل المسلمين في أعين المشركين هو أنهم إذا رأوهم قليلاً أقدموا على القتال غير خائفين، ثم يرونهم كثيراً فيفشلون، وتكون الدائرة عليهم، ويحلّ بهم عذاب الله وسوط عقابه) (١).

الثالث: البصر بالحجة: ومن قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [طه: ١٢٥]

(١) فتح القدير: ج ٢/ص ٣١٤.

يشخصون نحوك بأبصارهم، وينظرون إليك نظراً شديداً، كما ينظر الشاخص بصره عند الموت(١).

وقوله تعالى ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] قال الرازي: (إشارة إلى غاية جنبهم ونهاية روعهم)(٢).

السادس: نظر الشك والريبة: ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نُّظِرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ١٢٧]

قال ابن كثير: هذا أيضا إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله ﷺ ﴿نُظِرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: تلفتوا، ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ أي: تولوا عن الحق وانصرفوا عنه، وهذا حالهم في الدين لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يقيمونه(٣).

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته ... والذنب للطرف لا للنجم في الصغر السابع: نظر المسارقة إلى ما لا يحلّ النظر إليه: ومنه قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]

قال الطبري: خائنة الأعين: نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه(٤).

(١) فتح القدير: ج ٥/ص ٣٨.

(٢) التفسير الكبير: ج ٢٥/ص ١٧٥

(٣) تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٢٤٠)

(٤) تفسير الطبري - (ج ٢١ / ص ٣٧٠)

وقال صاحب الكشاف: الخائنة: صفة للنظرة، أو مصدر بمعنى الخيانة، كالعافية بمعنى المعافاة، والمراد: استراق النظر إلى ما لا يحل، كما يفعل أهل الريب(١).

وقال تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ❖ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴿ [النور: ٣٠ - ٣١]

﴿ يَعْضُوا ﴾ أي: يخفضوا ولا يرفعوا، بل يكفوا عما نهوا عنه، ولما كان الأمر في غاية العسر، قال: من أبصارهم بإثبات من التبعية إشارة إلى العفو عن النظرة الأولى، وأن المأخوذ به إنما هو التماذي، ولما كان البصر يريد الزنى قدمه(٢). ومنه قول النبي ﷺ: (يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة)(٣).

وقوله ﷺ: (العين تزني والقلب يزني فرنا العين النظر وزنا القلب التمني والفرج يصدق ما هنالك أو يكذبه)(٤).

البكاء محله العين:

البكاء لغة: بَكَى يبكي بالكسر (بُكاء) وهو يُمدُّ ويُقصر فالبُكاء بالمدِّ الصَّوت وبالقصر الدموع وخروجها. و(بَكَاه) و(بَكَى)

(١) الكشاف: ج ٤/ص ١٦٣

(٢) نظم الدرر للبقاعي - (ج ٥ / ص ٤٦٣)

(٣) سنن أبي داود ج ٢/ص ٢٤٦، حديث رقم (٢١٤٩)

(٤) مسند أحمد بن حنبل ج ٢/ص ٣٢٩، حديث رقم (٨٣٣٨)

عليه بمعنى و(بَكَاهَ تَبْكِيَةً) مثله و(أَبَكَاه) إذا صنع به ما يُبْكِيهِ و(باكاه فبكاه) إذا كان (أَبَكَى) منه (١)
تعريف الدمع: الدَّمْعَةُ القطرة. والمدَّمَعُ: مجتمع الدمع في نواحيها. يقال: فاضت مدامعي ومدامع عيني، و(المدامع) المآقي وهي أطراف العين (٢).

ترتيب البكاء:

إذا تهيأ الرجل للبكاء قيل: أجهش، فإن امتلأت عينه دموعاً قيل: اغرورقت عينه وترقرقت، فإذا سالت قيل: دمعت أو همعت، فإذا حاكت دموعها المطر قيل: همت فإذا كان لبكائه صوت قيل: نحب ونشج فإذا صاح مع بكائه قيل: أعول (٣).

أنواع البكاء:

البكاء أنواع منه:

١. بكاء رقة وخشية: قال تعالى: ﴿وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ [الإسراء: ١٠٩]
والبكاء من خشية الله: هو سبب لإضلال الله للعبد يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله. كما جاء في الحديث: (ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) (٤).

(١) مختار الصحاح: ٦٢.

(٢) العين - (ج ١ / ص ٩٩) ومختار الصحاح: ٢١٠ - ٢١١.

(٣) فقه اللغة - (ج ١ / ص ٢١).

(٤) صحيح البخاري: ج ١ / ص ٢٣٤، حديث رقم (٦٢٩).

٢. بكاء عند سماع القرآن: قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٨٣]

تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ: أي: تمتلئ فتفيض، لأن الفيض لا يكون إلا بعد الامتلاء، جعل الأعين تفيض، والفائض: إنما هو الدمع قصداً للمبالغة كقولهم دمعت عينه (١).
قال امرؤ القيس:

ففاضت دموع العين مني صباية ... على النحر حتى بلّ دمعي محملي (٢).

بكاء الرحمة لفقدان عزيز: كما بكى النبي ﷺ على موت ابنه إبراهيم، وقال: (تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا إنا بك يا إبراهيم لمحزونون) (٣).

٣. بكاء التصنع وهو فعل من يبكي ترويحاً لكذبه وتنفيقاً لمكره وغدره.

كما فعل أخوت يوسف عليه السلام ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف: ١٦]

قال القرطبي: هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله لاحتمال أن يكون تصنعاً فمن الخلق من يقدر على ذلك

(١) فتح القدير - (ج ٢ / ص ٣٤٦).

(٢) ديوانه: ج ١/ص ١.

(٣) سنن أبي داود: ج ٣/ص ١٩٣، حديث رقم (٣١٢٦).

ومنهم من لا يقدر وقد قيل إن الدمع المصنوع لا يخفى كما قال حكيم :

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى (١).
 ٤. بكاء سببه الحزن: قال تعالى ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢]

والفيض والفيضان: خروج الماء ونحوه من قراره ووعائه، ويسند إلى المائع حقيقة. وكثيراً ما يسند إلى وعاء المائع، فيقال: فاض الوادي، وفاض الإناء. ومنه فاضت العين دمعاً وهو أبلغ من فاض دمعها، لأن العين جعلت كأنها كلها دمع فائض، فقوله: تفيض من الدمع، جرى على هذا الأسلوب (٢).

الآيات الواردة في النظر:

أما الآيات الواردة في النظر فهي أنواع منها:

١. الأمر بالنظر في مخلوقات الله تعالى: ومنه قوله تعالى ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لِمَ يَتَسَنَّهٖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ [البقرة: ٢٥٩]

(١) تفسير القرطبي: ج ٩/ص ١٤٥.

(٢) التحرير والتنوير - (ج ٦ / ص ٣٦٢).

وقال تعالى ﴿ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩]

وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧]

٢. الأمر بالنظر في أحوال الأمم الماضية: قال تعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل: ٦٩]

٣. الأمر بالنظر في أحوال المكذبين والمشركين: قال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مِّبِينًا ﴾ [النساء: ٥٠]

٤. الأمر بالنظر في أحوال الدنيا وخلق الإنسان: قال تعالى: ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل: ٢٨]

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ ❖ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل: ٣٢ - ٣٣]

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾ [عبس: ٢٤]

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق: ٥]

اهتمام القرآن الكريم بحاستي السمع والبصر دون سائر الحواس:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠]

قال الرازي: إن الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس ولا شك أن آلة اللمس هي الجلد فالله تعالى ذكر ههنا من الحواس وهي السمع والبصر واللمس وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم لأن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان والحنك مماسة لجرم الطعام فكان هذا داخلاً فيه فبقي حس الشم وهو حس ضعيف في الإنسان وليس لله فيه تكليف ولا أمر ولا نهي (١).

وقال الشوكاني: (وجه تخصيص الثلاثة بالذكر عرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسؤال لأنها قد اشتملت على ثلاث حواس فكان تأتي المعصية من جهتها أكثر) (٢).

قال ابن الجوزي: قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنِ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦] فلاحظ لي فيها إشارة كدت أطيئ منها.

وذلك أنه إن كان عني بالآية نفس السمع والبصر فإن السمع آلة لإدراك المسموعات، والبصر آلة لإدراك المبصرات، فهما يعرضان ذلك على القلب، فيتدبر، ويعتبر. فإذا عرضت المخلوقات على السمع

(١) التفسير الكبير: ج ٢٧/ص ١٠١.

(٢) فتح القدير: ج ٤/ص ٥١١.

والبصر، أو صلا إلى القلب أخبارها من أنها تدل على الخالق، وتحمل على طاعة الصانع، وتحذر من بطشه عند مخالفته.

وإن عني معنى السمع والبصر، فذلك يكون بذهولهما عن حقائق ما أدركا، شغلا بالهوى، فيعاقب الإنسان بسلب معاني تلك الآلات، فيرى وكأنه ما رأى ويسمع وكأنه ما سمع، والقلب ذاهل عن ما يتأدب به، فيبقى الإنسان خاطئاً على نفسه لا يدري ما يراد به (١).

هذا وتكمن أهمية هاتين الحاستين في الآتي:

١- كون هاتان الحاستان أهم آلتين في الإدراك سيما إدراك العلوم الضرورية.

٢- كون هاتان الحاستان أهم آلتين في البلاغ، قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

قال الشعراوي: لذلك يقال: (كما ولدته أمه) أي: لم يُعطِ القدرة على استخدام حواسه بعد، ثم يجعل له الحق سبحانه الحواس، ويجعله قادراً على استخدامها.

ولم يذكر بقية الحواس، بل جاء بالسيدين، وهما السمع والبصر؛ لأن آيات الكون تحتاج إلى الرؤية، وإبلاغ الرسل يحتاج للسمع، وهما أهم آلتين في البلاغ، فأنت ترى بالعين آيات الكون ومعجزات الرسل، وتسمع البلاغ بمنهج الله سبحانه وتعالى من الرسل (٢).

(١) صيد الخاطر: ١٠٤.

(٢) تفسيره: ١٠٠/٥٩٠٥.

٣- أن هاتين الحاستين يتوقف عليهما معرفة كثير من الأمور ولا يمكن للإنسان الاستغناء عنهما بخلاف بقية الحواس. فيمكن للامسان أن يستغني عن حاستي الشم والذوق معاً وإن كان استغناؤه عنهما وعن حاسة اللمس يسبب له المتاعب من ناحية حفظ حياته وسلامته، ولكنه من وجهة النظر المعرفية يتأثر بفقد حاستي السمع والبصر كثيراً.

وحقيقة التبيه القرآني على الجمع بينهما كان دقيقاً إذ بوجودهما توجد المعرفة، وبعدمهما تتعدم، ولا قيمة للحياة الإنسانية بغير معرفة تقود الإنسان إلى عبادة ربه تعالى (١).

الجهلُ نارٌ لدينِ المرءِ تُحرقُهُ والعلمُ ماءٌ لتلك النارِ يُطفئُها

ثالثاً: حاسة الشم: الأنف:

أنف لغة: جمعه أنفٌ وأنافٌ وأنوفٌ. وأنفٌ كلُّ شيءٍ أوَّلُهُ ورَوْضَةٌ أنفٌ بضمّتين أي لم يرعها أحدٌ كأنه استؤنّف رعيها. وأنفٌ من الشيء من باب طرب وأنفةً أيضاً بفتحّتين أي استنكف وأنف البعير اشتكى أنفه من البرة فهو أنفٌ مثل تعبٌ فهو تعبٌ. وذلك للوجع الذي به فهو دُلُول منقاد. والاستئناف والانتفاف الابتداء وقال كذا أنفاً وسالفاً (٢). ومنه قوله عزوجل: ﴿ماذا قال أنفاً﴾ أي مبتدأ (٣).

(١) ينظر: أصل المعرفة طرقها وأنواعها: ٧٢.

(٢) مختار الصحاح: ٢٨.

(٣) غريب القرآن للأصفهاني - (ج ١ / ص ٢٨)

والأنف : وهو جهاز نعرف به روائح المواد ذات الرائحة ويبطل عمله إذا أصيب الإنسان بمرض الزكام . وحدود عمله ضيقة جداً إذ أن قدرته على الشم لا تتجاوز بضعة أمتار ويختص بالمواد ذات الروائح ، وما جاءنا من علم بواسطة نأخذه مع بعض التحفظات. والعلوم التي نكتسبها بواسطة محدودة جداً جداً وأثرها لا يكاد يذكر في بناء العلوم الإنسانية (١) .

والشم بالفتح هو عبارة عن قوة مرتبة في زائدي مقدم الدماغ من شأنها إدراك ما يتأدى إليها ، وبالضم جمع أشم وهو الأرفع (٢).
وقيل: الشم: وهو قوة مرتبة في زائدي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي يدرك بها الروائح (٣).

هذا الأنف الذي نصبه سبحانه في وسط الوجه قائماً معتدلاً في أحسن شكل وأوقفه للمنفعة وأودعه حاسة الشم التي يدرك بها الروائح وأنواعها وكيفياتها ومنافعها ومضارها ويستدل بها على مضار الأغذية والأدوية ومنافعها وأيضاً فإنه يستشق بالتخزين الهواء البارد الرطب فيؤديه إلى القلب فيتروح به فيستغني بذلك عن فتح الفم أبداً وجعل تجويفه بقدر الحاجة فلم يوسع عن ذلك فيدخله هواء كثير ولم يضيقه فلا يدخله من الهواء ما يكفيه وجعل ذلك التجويف

(١) كتاب توحيد الخالق - (ج ١ / ص ١١٦)

(٢) كتاب الكلبيات: ج ١/ ص ٥٣٩.

(٣) شرح التلويح على التوضيح - (ج ٣ / ص ٤٩٦)

مستطيلاً لينحصر فيه الهواء وينكسر برده وحدته قبل أن يصل إلى الدماغ فلولا ذلك لصدمه بحدته وقوته والهواء الذي يستنشقه الأنف ينقسم شطرين شطراً يصعد إلى الدماغ وشطراً ينزل إلى الرئة وهو من آلات النطق فإن له إعانة على تقطيع الحروف وكما أن تجويفه جعل لاستنشاق الهواء فإنه جعل مصبا لفضلات الدماغ تتحدر منه في تلك القصبة فيخرج فيستريح الدماغ ولذلك جعل عليها سترا ولم يجعلها بارزة فتستقبحها العيون وجعل فيها تجويفا فإنه قد ينسد أحدهما أو يعرض له آفة تمنعه من الإدراك والاستنشاق فيبقى التجويف الثاني نائبا عنه يعمل عمله كما اقتضت الحكمة مثل ذلك في العينين

ثم تأمل الهواء الذي يستنشقه الأنف كيف يدخله أولاً من المنخرين وينكسر برده هناك ثم يصل إلى الحلق فيعتدل مزاجه هناك ثم يصل إلى الرئة ألطف ما يكون ثم تبعثه الرئة إلى القلب فيروح عن الحرارة الغريزية التي فيه ثم ينفذ من القلب إلى العروق المتحركة ويبلغ إلى أقاصي أطراف البدن ثم إذا سخن في الباطن وخرج عن حد الانتفاع خرج عن تلك الأقاصي إلى البدن ثم إلى الرئة ثم إلى الحلقوم ثم إلى المنخرين خارجا فيخرج منهما ويعود عوضه هواء بارد نافع والنفس الواحد من أنفاس العبد إنما يتم بمجموع هذه الأمور والقوى والأفعال وهو له في اليوم واللييلة أربعة وعشرون ألف نفس لله في كل نفس عدة

نعم قد وقفت على القليل منها فما ظنك بما وراء التنفس من الأعضاء والقوى ومنافعها وتمام النعمة بها (١).

والشم يحرس من الضرر بالرائحة الرديئة القتالة، وذلك بأن تحد تلك الرائحة من آلة الشم لما يحوج ذلك إلى التنحي عنها. وكذلك هذه الحاسة تجلب للبدن النافع من الرائحة لأن آلة الشم تلتذ بتلك الرائحة فيدعو ذلك إلى الاستكثار منها (٢).

والآيات التي وردت في الأنف أو الشم فهي:

قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ [المائدة: ٤٥]

وقوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام ﴿إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤]

ومعنى لأجد لأشم فهو وجود حاسة الشم.

وقال الشاعر:

وإني لأستشفي بكل غمامة يهب بها من نحو أرضك ريح (٣).

والمعروف أن القميص الذي أرسله مع أخيه الأكبر يحمل رائحة يوسف، لكن الذين حول يعقوب من أقربائه لم يصدقوا قوله، فأضاف: ﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي: لولا اتهامكم لي بالخرف، لأن التفنيد هو الخرف.

(١) التبيان في أقسام القرآن: ج ١/ص ١٩٢ - ١٩٣

(٢) شرح تشريح القانون لابن سينا: ١.

(٣) تفسير البحر المحيط: ج ٥/ص ٣٣٩.

ومن العجيب أننا في أيامنا هذه نجد العلم وقد أثبت أن صورَ المرائي والأصوات، توجد لها آثار في الجو، رغم ما يُخيّل للإنسان أنها تلاشت. ويحاول العلم بوسائل من الأشعة أن يكشف صورة أيّ جماعة كانت تجلس في مكان ما، ثم رحلت عنه منذ ساعة أو ساعتين، ممّا يدلُّ على أن الصور لها نضح من شعاع وظلال يظل بالمكان لفترة قبل أن يضيع.

وكذلك الأصوات؛ فالعلماء يحاولون استرداد أصوات مَنْ رحلوا؛ ويقولون: لا شيء يضيع في الكون، بل كل ما وُجد فيه محفوظ بشكل أو بآخر.

والرائحة أيضاً لا تضيع، بدليل أن الكلب يشمُّ الريح من على مسافات بعيدة، ويميز الآن المخدرات من رائحتها؛ ولذلك تنتشر الكلاب المدربة في المطارات وعلى الحدود؛ لتكشف أيّ محاولة لتهريب المخدرات.

وإذا كان الحيوان المخلوق بقدره الله قادراً على التقاط الرائحة من بين آلاف الروائح، وإذا كان العلم الموهوب من الله للبشر؛ يبحث الآن في كيفية استحضار الصورة واسترداد الصوت من الفضاء المحيط بالإنسان؛ فعلياً أن ندرك أن العيرَ عندما خرجت من أسوار المدينة؛ وأخذت طريقها إلى الموقع الذي يعيش فيه يعقوب عليه السلام؛ استطاع يعقوبُ بقدره الله أن يشمَّ رائحة يوسف؛ تلك التي يحملها قميصه القادم مع القافلة.

ولسائل أن يقول: ولماذا ارتبطتْ تتسّم يعقوب لرائحة يوسف بخروج العير من مصر، وتواجدها على الطريق إلى موطن يعقوب؟
 نقول: لأن العير لحظة تواجدها في المدينة تكون رائحة قميص يوسف مُختلطة بغيرها من الروائح؛ فهناك الكثير من الروائح الأخرى داخل أي مدينة، ويصعب نفاذ رائحة بعينها لتغلب على كل الروائح؛ ويختلف الأمر في الخلاء؛ حيث يمكن أن تمشي هبة الرائحة دون أن يعترضها شيء (١).

وقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم﴾ [القلم: ١٦]

قال الخازن: أي على الأنف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علماً يعرف به في الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالأنف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر، وقيل معناه سنلحق به شيئاً لا يفارقه أي سنسمه ميسم سوء يريد نلحق به عاراً لا يفارقه كما أن السم لا تمحى ولا يعفى أثرها.

وقد ألحق الله به بما ذكر من عيوبه عاراً لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه (٢).

رابعاً: حاسة الذوق: اللسان:

تعريف اللسان: لسن: اللسان الجارحة وقوتها وقوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧] أي عنى به من قوة لسانه فإن العقدة لم تكن في

(١) تفسير الشعراوي - (ج / ص ١٦٧٧)

(٢) تفسير الخازن - (ج ٦ / ص ١٤١)

الجارحة وإنما كانت في قوته التي هي النطق به، ويقال لكل قوم لسان ولسن بكسر اللام أي لغة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسْرُنَّاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧] وقال تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] فاختلفت الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات وإلى اختلاف النغمات، فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر (١).

قال الإمام الغزالي: (فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه، إذا لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان، ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مضمون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء، فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والآذان لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وكذا سائر الأعضاء. واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى) (٢).

(١) غريب القرآن للأصفهاني - (ج ١ / ص ٤٥٠)

(٢) إحياء علوم الدين: ج ٣/ص ١٠٨.

اللسان: آلة خلقها الله سبحانه لتمييز طعم المواد المختلفة، وإن أصيب الإنسان ببعض الأمراض فقد يطعم بعض الأشياء على حقيقتها ويتغير طعم البعض الآخر. وحدود عمل اللسان ضيقة جداً فتمييزه للطعم محصور في نطاق ما لامس اللسان. بشرط أن يذوب في اللعاب. وأي علم يأتينا من اللسان فهو علم نقبله مع بعض التحفظات ولكن العلوم التي نكتسبها بواسطة اللسان محدودة جداً جداً، وأثرها لا يكاد يذكر في بناء العلوم الإنسانية (١).

والذوق: - هو إيصال المذوق إلى الفم ابتلعه أو لا، بعد أن وجد طعمه، لأن الذوق أحد الحواس الخمس التي تعلم بها الأشياء، ولذا يتحقق العلم بالطعم سواء ابتلع الشيء المذاق أو مجه، فكل أكل فيه ذوق، وليس كل ذوق أكلاً (٢).

وقيل: الذوق وهي قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان يُدرك بها الطعوم (٣).

الفم فمحل العجائب وباب الطعام والشراب والنفس والكلام ومسكن اللسان الناطق الذي هو آلة العلوم وترجمان القلب ورسوله المؤدي عنه.

ولما كان القلب ملك البدن ومعدنا للحرارة الغريزية فإذا دخل الهواء البارد وصل إليه فاعتدلت حرارته وبقي هنالك ساعة فسخن واحترق

(١) كتاب توحيد الخالق - (ج ١ / ص ١١٦)

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته - (ج ٤ / ص ٧٦)

(٣) شرح التلويح على التوضيح - (ج ٣ / ص ٤٩٦)

فاحتاج القلب إلى دفعه وإخراجه فجعل أحكم الحاكمين إخراجه سببا لحدوث الصوت في الحنجرة والحنك واللسان والشفيتين والأسنان مقاطع ومخارج مختلفة وبسبب اختلافها تميزت الحروف بعضها عن بعض ثم ألهم العبد تركيب تلك الحروف ليؤدي بها عن القلب ما يأمر به (١). وكذلك حاسة الذوق تحرس البدن من تناول الأشياء الضارة والقتالة بتألم تلك الحاسة بها عند نفوذ الأجزاء المنفصلة عنها النافذة مع الريق إلى باطن اللسان، وكذلك هذه الحاسة تجلب الأشياء النافعة للبدن، وذلك بأن تلتذ الحاسة بطعومها فتحرض النفس على الاستكثار منها (٢).

أما الآيات الواردة في اللسان فمنها:

قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾

[إبراهيم: ٤]

قوله تعالى ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا

لُدًّا ﴾ [مريم: ٩٧]

وقوله تعالى ﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مَنْ لِسَانِي ﴾ [طه: ٢٧]

وقوله تعالى ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾

[الشعراء: ١٣]

قال تعالى ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ [القصص: ٣٤]

(١) التبيان في أقسام القرآن: ج ١/ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٢) شرح تشریح القانون لابن سينا - (ج ١ / ص

وقوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢]

وقوله تعالى ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان: ٥٨]

وقال تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مَّصَدَقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٢]

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ❖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد: ٨ - ٩]

حفظ اللسان:

حفظ اللسان من أشد الأعمال وأفضلها، قال تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦]

يقول النبي ﷺ: (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) (١).

وقال عمر بن الخطاب ؓ: (من كثر كلامه كثر سقطه) (٢). وعن سعيد بن جبير عن أبي سعيد قال أراه رفعه قال:

(إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإنك إن استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوججنا) (٣). وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (ما شيء أحق بطول

(١) صحيح البخاري: ج ٥/ص ٢٢٤٠، حديث رقم (٥٦٧٢)

(٢) الصمت وآداب اللسان: ج ١/ص ٦٨.

(٣) المصدر نفسه: ج ١/ص ٤٩.

سجن من اللسان) (١). وقال الحسن رضي الله عنه: (اللسان أمير البدن فإذا جنى على الأعضاء بشيء جنت وإن عف عفت) (٢).

لعمرك ما للمرء كالرب حافظ ولا مثل عقل المرء للمرء واعظ
لسانك لا يلقىك في الغي لفظه فإنك مأخوذ بما أنت لافظ (٣).

وقال الإمام الشافعي:

أحفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغتك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاء الأقران (٤).

خامساً: حاسة اللمس:

تعريف اللمس:

لمس: اللمس: الجس وقيل: اللمس المس باليد لسه يلمسه ويلمسه
لمساً ولأمسه، فلمس والجمع لمس واللمس كناية عن الجماع لمسها
يلمسها ولأمسها وكذلك الملامسة وفي التنزيل العزيز (أو لمستم
النساء) وقري (أو لمستم النساء) وروي عن عبد الله بن عمر وابن
مسعود أنهما قالوا القبلة من اللمس وفيها الوضوء وكان ابن عباس
يقول اللمس واللماس والملامسة كناية عن الجماع ومما يستدل به
على صحة قوله قول العرب في المرأة تزن بالفجور هي لا ترد يد لامس
وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: إن امرأتي لا ترد يد لامس فأمره

(١) المصدر نفسه: ج/١/ص ٥٦.

(٢) الصمت وآداب اللسان: ج/١/ص ٦٩.

(٣) الصمت وآداب اللسان: ج/١/ص ٣٠٤.

(٤) ديوانه: ١١٧.

بتطبيقها أراد أنها لا تردُّ عن نفسها كلَّ من أراد مُراوَدَتها عن نفسها (١).

واللمس إدراك بظاهر البشرة، كالمس، ويعبر به عن الطلب كقول الشاعر: وألمسه فلا أجده وهو قوة سارية في البدن كله بها يُدرك الحار، والبارد، والرطب، واليابس، ونحو ذلك (٢).

وحاسة اللمس تدفع عن البدن ضرر ما تضر ملاقاته البدن وذلك بتألم الحاسة بقوة بردها مثلاً أو بقوة حرها أو لشدة خشونتها أو صلابتها ونحو ذلك وتجلب إلى البدن النفع بالأشياء التي تنفع ملاقاتها البدن، وذلك بالتذاذ هذه الحاسة بها وترغب النفس في ملاقاتها، والاستكثار من ذلك ولكن جميع هذه الحواس إنما تتمكن من الشعور بمحسوساتها بعد ملاقاتها لها ومن الأشياء الضارة ما إذا بلغ القرب منه إلى حد الملاقاة فإن القرب منه حينئذٍ قد يكون غير ممكن (٣).

قوله تعالى ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِيَّتٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾

[الجن: ٨]

قال صاحب الكشاف: اللمس: المس، فاستعير للطلب؛ لأن الماس طالب متعرف قال :

(١) لسان العرب - (ج ٦ / ص ٢٠٩)

(٢) شرح التلويح على التوضيح - (ج ٣ / ص ٤٩٦)

(٣) شرح تشريح القانون لابن سينا - (ج ١ / ص

مَسَسْنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا وَكُنَّا ... إِلَى نَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعٍ

يقال: لمسه والتمسه، وتلمسه «كطلبه وأطلبه وتطلبه» ونحوه: الجس. وقولهم: جسوه بأعينهم وتجسسوه. والمعنى: طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها (١).

ويكنى به وبالملامسة عن الجماع، وقرئ (لامستم - ولمستم النساء) حملاً على المس وعلى الجماع، ونهى عليه الصلاة والسلام عن بيع الملامسة، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ نهى عن المنابذة وهي طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى الرجل قبل أن يقبله أو ينظر إليه ونهى عن الملامسة والملامسة لمس الثوب لا ينظر إليه (٢). الملامسة: (أن يقول إذا لمست ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب البيع) (٣) واللامسة الحاجة المقاربة (٤).

قال الإمام الغزالي: أول ما يخلق في الإنسان حاسة اللمس، فيدرك بها أجناساً من الموجودات: كالحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، واللين، والخشونة، وغيرها. واللمس قاصر عن الألوان والأصوات قطعاً، بل هلي كالمعدوم في حس اللمس (٥).

اليد تطلق في اللغة على عدة معانٍ بعضها حقيقة وبعضها من المجاز أو الكناية.

(١) الكشاف: ج ٤/ص ٦٢٧.

(٢) صحيح البخاري ج ٢/ص ٧٥٤، حديث رقم (٢٠٣٧)

(٣) سنن أبي داود - (ج ٣ / ص ٢٦٢)

(٤) غريب القرآن للأصفهاني - (ج ١ / ص ٤٥٤)

(٥) المنقذ من الضلال - (ج ١ / ص ١٥)

قال الشوكاني: (اليد عند العرب تطلق على الجارحة، ومنه قوله تعالى ﴿وَحُذِّدْ يَدَيْكَ ضِعْفًا﴾ [ص: ٤٤] وعلى النعمة، يقولون كم يد لي عند فلان. وعلى القدرة. ومنه قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]

أو على التأييد، ومنه قوله ﷺ: (يد الله مع القاضي حين يقضي ويد الله مع القاسم حين يقسم)(١). وتطلق على معانٍ أخرى. وهذه الآية هي على طريق التمثيل كقوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] والعرب تطلق غلّ اليد على البخل، وبسطها على الجود مجازاً، ولا يريدون الجارحة كما يصفون البخيل بأنه جعد الأنامل ومقبوض الكف(٢).

ورد لفظ اليد حقيقة في القرآن الكريم في مواضع منها :
قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسْتَ بِأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]
{ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ } أي المحرّف أو ما كتبه من التأويلات الزائفة { بِأَيْدِيهِمْ } تأكيدٌ لدفع توهم المجاز كقولك : كتبته بيميني(٣).

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٥/ص ٤١٤، حديث رقم (٢٣٥٥٨)

(٢) فتح القدير ج ٢/ص ٥٧.

(٣) تفسير أبي السعود - (ج ١ / ص ١٥٤)

وقال تعالى ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [المائدة: ١١]

أو اذكروا نعمته كائنةً عليكم في وقت همهم ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي بأن يبسطوا بكم بالقتل والإهلاك ، يقال : بسطَ إليه يده ، وبسطَ إليه لسانه إذا شتمه (١).

وقال تعالى: ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ﴾ [المائدة: ٣٣]
 {أو تقطع أيديهم} أي اليمنى بأخذهم المال من غير قتل {وأرجلهم} أي:
 اليسرى لإخافة السبيل (٢).

وقال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]

أي : لا يمدونها إلى العجل كما يمدّ يده من يريد الأكل (٣).
 وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الفتح:

٢٤]

وقال تعالى ﴿إِنْ يَتَّقُوا اللَّهَ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]

وورد لفظ الأصابع في القرآن في مواضع منها:

(١) تفسير أبي السعود - (ج ٢ / ص ٢١٠)

(٢) نظم الدرر للبقاعي - (ج ٢ / ص ٣٨٤)

(٣) فتح القدير - (ج ٣ / ص ٤٦٣)

قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ [نوح: ٧].

وورد لفظ البنان في موضعين من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]

قال الراغب: البنان: الأصابع قيل: قيل سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن للإنسان أن يبين بها يريد أن يقيم به (١). والبنان أطراف الأصابع من اليدين والرجلين والواحدة بنانة وخصها بعضهم باليد (٢).

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٤] كل المفسرين على أن المعنى نجعل بنانه متساوية ملتحمة كخف البعير أي لا يستطيع أن يتناول بها شيئاً ولا يحسن بها عملاً (٣). وفي هذه الآية يقرر الخالق العظيم كمال اقتداره على إعادة الإنسان وبعثه بعد موته.

(١) المفردات في غريب القرآن: ج ١/ص ٦٢.

(٢) روح المعاني: ج ٩/ص ١٧٨.

(٣) أضواء البيان: ج ٨/ص ٣٧٢.

يقول الشيخ الزرقاني: (أرجو أن تقف قليلا عند تخصيصه البنان بالتسوية في هذا المقام ثم تستمع بعد ذلك إلى هذا العلم الوليد علم تحقيق الشخصية في عصرنا الأخير وهو يقرر أن أدق شيء وأبدعه في بناء جسم الإنسان هو تسوية البنان حتى إنه لا يمكن أن تجد بنانا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال، وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكّموا البنان في كثير من القضايا والحوادث(١). فمن الناحية الوراثية لا يوجد تشابه بين بصمات الأصابع عدا مرة واحدة في كل (٢٤ بليون نسمة)(٢). ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]

وورد لفظ الأنامل في موضع واحد من القرآن الكريم:
قال تعالى: ﴿هَآ أَنْتُمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]

الأنامل جمع الأنملة وهي المفصل الأعلى من الأصابع التي فيها الظفر(٣).

حرص الإسلام على سلامة البدن و المحافظة على الحواس وحفظها:
قال الرازي: الحواس خمس: أدب البصر بقوله ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] والسمع بقوله ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن: ج ١/ص ٢٠.

(٢) ينظر: الطب العدلي والسموم: ٢٢٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ج ١/ص ٢٨.

أَحْسَنَهُ ﴿ [الزمر: ١٨] والذوق بقوله ﴿ يَأْيَهَا الرَّسْلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١] والشم بقوله ﴿ إِنِّي لِأَجْدُ رِيحَ يُوسُفَ
لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ ﴾ [يوسف: ٩٤] واللمس بقوله ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥] (١).

وقد أشار القرآن الكريم إلى صحة الأبدان وقوة الأجسام ، وذلك ما
حكاه القرآن الكريم عن بني إسرائيل في تزكيتهم طالوت ﴿ قَالَ إِنَّ
اللَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]
ولقد شرح رسول الله هذا المعنى في كثير من أحاديثه ، وحث المؤمنين
على المحافظة على قوة أبدانهم ، كما حثهم على قوة أرواحهم ،
فالحديث الصحيح يقول: (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن
الضعيف) (٢).

ولقد بين رسول الله للأمة كثيراً من قواعد الصحة العامة وبخاصة في
علم الوقاية ، وهو أفضل شطري الطب ، وتحريه فيما يشرب من ماء ،
وفي الحديث : عن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان يستعذب
له الماء من بيوت السقيا) (٣). العذب: الماء الطيب الذي لا ملوحة فيه.
ونهيه عن البول والتبرز في المياه الراكدة ، وإعلانه الحجر الصحي
على البلد المطعون وأهله ، فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم ، وتحذيره من
العدوى وطلب الفرار من المجذوم ، وأخيرا عنايته بكثير من فروع

(١) التفسير الكبير: ج ١/ص ٢٣٠.

(٢) صحيح مسلم: ج ٤/ص ٢٠٥٢، حديث رقم (٢٦٦٤)

(٣) سنن أبي داود: ج ٣/ص ٣٤٠، حديث رقم (٣٧٣٥)

رياضة البدن كالرمي والسباحة والفروسية والعدو، وحث أمته عليها وعلى العناية بها، ونهيه نهياً مشدداً عن التبتل والترهب وتعذيب الجسوم وإضوائها تقرباً إلى الله تبارك وتعالى، وإرشاد الأمة إلى جانب الاعتدال في ذلك كله، كل هذا ينطق بعناية الإسلام البالغة بصحة الأمة العامة وتشديده في المحافظة عليها وإفساح صدره لكل ما فيه خيرها وسعادتها من هذا الجنب الهام (١).

والنفس الإنسانية هي ملك لله تعالى الذي خلقها، لذلك حرم الإسلام الانتحار، وهو أن يقتل الإنسان نفسه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً) (٢).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قال: (سبعٌ لما تفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر القارورة التي يكون فيها الدهن والمكحلة والمقراض أي المقص والمسواك والمرآة زاد بعضهم والإبرة والخيط) وقد قال بعضهم إن المقوقس أرسل مع الهدية طيباً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع إلى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع (٣).

(١) رسائل الإمام حسن البنا - (ج ١ / ص ٣٠٢)

(٢) صحيح البخاري: ج ٥ / ص ٢١٧٩ حديث رقم (٥٤٤٢).

(٣) السيرة الطيبة: ج ٣ / ص ٢٩٨-٢٩٩

دية الحواس:

تعريف الدية: هي ما يعطى عوضاً عن دم القتل إلى وليه (١).
ومن أجل المحافظة على هذه الحواس اوجب الإسلام الدية في كل حاسة من هذه الحواس الخمس على من اعتدى عليها بغير حق.
قال تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا﴾ [المائدة: ٤٥]

قال ابن العربي: وذكر العين والأنف والأذن والسن وترك اليد، ف قيل في ذلك ثلاثة معان:

الأول: أن ذلك لأن اليد آلة بها يفعل كل ذلك.

الثاني: أن ذلك لاختلاف حال اليدين، بخلاف العينين والأذنين، فإن اليسرى لا تساوي اليمنى؛ فترك القول فيها لتدخل تحت قوله تعالى: {والجروح قصاص} ثم يقع النظر فيها بدليل آخر. الثالث: أن اليد باليد لا تفتقر إلى نظر؛ والعين بالعين، والأنف بالأنف، والسن بالسن يفتقر إلى نظر (٢).

فتلزم الدية (في كل حاسة) من الحواس الخمس وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس فإذا ذهب الحاسة (كاملة) وجب فيها الدية كاملة وإن ذهب نصف الحاسة وجب نصف الدية وحاسة الذوق لا تجب الدية فيها إلا إذا ذهب حواسه

(١) تفسير القرطبي - (ج ٥ / ص ٣١٥).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: ج ٢/ ص ١٣١.

الخمس وهي الحلاوة والمرارة والعذوبة والملوحة والحرافة وما في معناها وهي الحموضة فإذا ذهب بعض هذه الخمس وجب فيه حصته وإن ذهب من جميعها بعض الإدراك وجب فيه حكومة وكذا في سائر الأعضاء لكل عضو بطل نفعه بجناية الغير وجبت ديته وإن بطل بعض نفعه ففيه حكومة (١).

ولما كان القرآن الكريم مخزن الثوابت فقد صاغه الله تعالى بطريقة تجعله دائم التجدد، دائب التنزل ما أعمل المسلمون عقولهم فيه تدبراً وتأملاً.

لقد أنزله الله تعالى يتجدد مع الزمن، كلما قرأه الإنسان مرة بعد مرة، وجد له من المعاني ما لم يخطر على باله في المرات السابقة، وهكذا يبقى لا تبلى جدته على مر الأيام والدهور، ولذلك فإن الإنسان لو أفنى عمره في دراسة سورة من سوره لما استطاع أن يدعي أنه لم يبق لغيره ما يقوله فيها.

وقد روى الإمام مالك أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها (٢).

فكلما أجال المجيلون أنظارهم وكلما أدار المديرون أبصارهم في كتاب الله تبارك وتعالى، فإن معانيه كأموج البحر لا تنتهي ولا تنتهي، فهو كلام العلي الكبير (٣).

(١) التاج المذهب لأحكام المذهب - (ج ٧ / ص ٢١١)

(٢) موطأ مالك: ج ١ / ص ٢٠٥.

(٣) نظرات في السيرة: ٦.

الخاتمة وأهم النتائج:

- وفي ختام هذا البحث المتواضع أود أن أُسجل ما توصلت إليه من نتائج:
١. أهمية التكامل بين آيات الله تعالى، بحيث تصير الآيات العقلية معارج روحية نحو السماء، عن طريق تدبر آيات القرآن، والمزج بين آيات الكتاب المسطور وآيات الكتاب المنظور.
 ٢. لا يمكن تحقق التكامل بين آيات الله القرآنية وآياته في الأنفس والآفاق ما لم يتم تفعيل جهاز الوعي في الإنسان إلى أقصى درجات الإمكان.
 ٣. لا بد من المزج في الرقي الإيماني بين البرهان النقلی والبرهان العقلي برعاية السببية والمنهج السنني، بجانب الإيمان بالغيب، مع ضرورة التفريق بين السنن الجارية والسنن الخارقة.
 ٤. حرص الإسلام على سلامة البدن و المحافظة على الحواس وحفظها.
 ٥. عند التأمل والنظر نجد العلاقة القوية بين العقل والحواس، فكل منهما مكمل للآخر، إذ كلاهما مخلوق لله في طبيعة الإنسان المخلوقة لله سبحانه والمشمولة برعايته وعنايته.
 ٦. اهتمام القرآن الكريم بالحواس والحث على استخدامها في طاعة الله تعالى.
 ٧. تبين من خلال أقوال العلماء في أفضلية السمع أم البصر، ومن يقول أن السمع أفضل لان الله قدمه في الكثير من الآيات، وبيننا أن هذا التقديم ليس للتفضيل لأن لكل حاسة وظيفة خصها الله

- بها، والتقديم هنا بحسب السياق القرآني، مثل تقديم المال على النفس، قال تعالى ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١]
٨. بيان الحكمة من إفراد السمع وجمع البصر في القرآن الكريم.
٩. أن السمع أقسام: سمع من باب التفضل والنعمة على عباده، وآيات وردت عن أصل السمع، والسمع بمعنى الإجابة لما يسمع، وسماع لمجرد الإدراك بحاسة السمع الذي لا ينافي العصيان، وتعطيل الانتفاع بها فيما أمر به خالقها، والسمع بمعنى الشهادة على الإنسان.
١٠. وتبين أن حاسة البصر، يدرك بها الألوان والأشكال، وهو أوسع عالم المحسوسات. وبيان نعمة النوم الذي فيه أماناً وأماناً من القلق والخوف لذا فقد غشى الله جنود المسلمين بالنعاس أمانة لهم في غزوة بدر، وربط على قلوبهم ليبعد عنهم القلق والخوف وقد كانوا قلة أمام أعدائهم (١)، قال تعالى ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١]
١١. وتبين أن النظر أنواع: نظر لمجرد الرؤية البصرية، ونظر التفكير والاعتبار في الحجج والآثار، ونظر يدل على الجبن والخوف، ونظر الشك والريبة، ونظر المسارقة إلى ما لا يحل النظر إليه.

(١) روائع الطب الإسلامي - (ج ١ / ص ٥٦)

١٢. وتبين من خلال البحث أن حاسة الشم تحرس من التضرر بالرائحة الرديئة القتالة، وذلك بأن تحد تلك الرائحة من آلة الشم لما يحوج ذلك إلى التنحي عنها. وكذلك هذه الحاسة تجلب للبدن النافع من الرائحة لأن آلة الشم تلتذ بتلك الرائحة فيدعو ذلك إلى الاستكثار منها.

١٣. وكذلك حاسة الذوق تحرس البدن من تناول الأشياء الضارة والقتالة بتألم تلك الحاسة بها عند نفوذ الأجزاء المنفصلة عنها النافذة مع الريق إلى باطن اللسان، وكذلك هذه الحاسة تجلب الأشياء النافعة للبدن، وذلك بأن تلتذ الحاسة بطعومها فتحرض النفس على الاستكثار منها.

١٤. وفي حاسة اللمس، وخاصة عند ذكر (البنان) تبين في علم تحقيق الشخصية في عصرنا الأخير وهو يقرر أن أدق شيء وأبدعه في بناء جسم الإنسان هو تسوية البنان حتى إنه لا يمكن أن تجد بنانا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال، وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكّموا البنان في كثير من القضايا والحوادث الجنائية.

١٥. ومن أجل المحافظة على هذه الحواس أوجب الإسلام الدية في كل حاسة من هذه الحواس الخمس.

١٦. حرّم الإسلام الانتحار لأن النفس ملك لخالقها ولا يحق لإنسان التصرف بها بحجة أنها نفسه وهو حر بها.

ختاماً أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم وخدمة للمكتبة القرآنية. وأن يبارك في كل من أسهم فيه، مراجعة وتصحيحاً وضبطاً وتقويماً، ونشراً، جزى الله الجميع كل خير وجعله في موازين حسناتهم.

الباحث

المكلا

٢٠١٠/٧/١٥ م.

المصادر

١. أحكام القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا

٢. الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث - القاهرة - الطبعة: الأولى - ١٤٠٤هـ.
٣. إحياء علوم الدين، تأليف: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار النشر: دار المعرفة - بيروت.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٥. أصل المعرفة طرقها وأنواعها، راجح عبد الحميد الكردي، دار الفرقان - عمان - الأردن - ٢٠٠٤م.
٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
٧. التاج المذهب لأحكام المذهب، أحمد بن يحيى بن المرتضى - زيدية - دار الكتاب الإسلامي.
٨. التبيان في أقسام القرآن، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الفكر.
٩. التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م.

١٠. تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق - الطبعة الثالثة - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١١. التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٢. تفسير ابن كثير، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ.
١٣. تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق) د. زكريا عبد المجيد النوقي) د. أحمد النجولي الجمل. دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٤. تفسير الخازن، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي، الشهير بالخازن ، المكتبة الشاملة.
١٥. تفسير السعدي، العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الإيمان - المنصورة - القاهرة.
١٦. تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي. الشاملة.
١٧. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٨. توحيد الخالق، عبد المجيد الزنداني، المكتبة الشاملة.
١٩. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢٠. الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢١. جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٢. خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان،
٢٣. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى - تاريخ النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٤. الديقاج على مسلم، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان - الخبر - السعودية - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٥. ديوان امرؤ القيس، بدون.
٢٦. ديوان الإمام الشافعي، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم، مؤسسة الكتب الثقافية - ٢٠٠٩ م.

٢٧. ديوان بشار بن برد، تقديم، إحسان عباس، دار صادر، بيروت -
الطبعة الأولى - ٢٠٠٠م.
٢٨. رسائل الإمام حسن البنا، المؤلف : الشيخ الإمام الشهيد حسن
البنا. المكتبة الشاملة.
٢٩. روائع الطب الإسلامي، العلامة الدكتور الطيب محمد نزار
الدقر، اختصاصي بالأمراض الجلدية والتناسلية والعلاج
التجميلي - دكتور " فلسفة " في العلوم الطبية كاتب
متخصص في الطب الإسلامي، المصدر: موقع موسوعة الإعجاز
العلمي في القرآن والسنة www.55a.net
٣٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف:
العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي
البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣١. زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن
محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت -
الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤هـ.
٣٢. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق:
محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
٣٣. سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود
السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر - تحقيق: محمد
محيي الدين عبد الحميد.

٣٤. السيرة الحلبية، تحقيق: عواد خلف مؤسسة الريان - بيروت
- الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.
٣٥. شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه،
تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشفعي، تحقيق:
زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٦هـ
- ١٩٩٦م.
٣٦. شرح تشريح القانون لابن سينا - المكتبة الشاملة.
٣٧. الشوقيات - أحمد شوقي - تعليق: د. يحيى شامي - دار
الفكر العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.
٣٨. صحيح البخاري، المسمى: الجامع الصحيح المختصر، تأليف:
محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د.
مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت -
الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.
٣٩. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري
النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث
العربي - بيروت.
٤٠. الصمت وآداب اللسان، تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد
بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: أبو إسحاق
الحويني - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة
الأولى، ١٤١٠هـ.

٤١. صيد خاطر، ابن الجوزي - تحقيق الشيخ محمد الغزالي -
دار الكتب الحديثة - مصر - ومكتبة المثنى بغداد.
٤٢. الطب العدلي والسموم، د. طريف سرحان الغريزي، دار
حزرموت للدراسات والنشر - الطبعة الأولى - ٢٠٠٧ م.
٤٣. العين، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي
المخزومي - د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٤٤. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد
بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا
عميران، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة
الأولى - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٤٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،
تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار
الفكر - بيروت.
٤٦. فقه اللغة و سرُّ العربية، المؤلف: الإمام عبد الملك بن محمد بن
إسماعيل أبو منصور الثعالبي النيسابوري، المكتبة الشاملة.
٤٧. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبي الزحيلي، دار الفكر - سوربة
- دمشق، الطبعة الرابعة.
٤٨. فقه اللغة و سرُّ العربية، الإمام عبد الملك بن محمد بن إسماعيل
أبو منصور الثعالبي النيسابوري. المكتبة الشاملة.

٤٩. في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق، الطبعة السابعة،
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٥٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،
تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،
تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٥١. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تأليف: أبو
البراء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان
درويش - محمد المصري. مؤسسة الرسالة - بيروت -
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٥٢. لسان العرب - ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور
الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى.
٥٣. مختار الصحاح، الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، دار
الحديث - القاهرة.
٥٤. مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في
ضوء الإسلام، عبد الرحمن زيد الزنيدي، المعهد العالمي للفكر
الإسلامي، مكتبة المؤيد - الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ -
١٩٩٢م.
٥٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف: أحمد
بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية
- بيروت.

٥٦. المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة - لبنان.
٥٧. مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار النشر: دار الفكر - لبنان - الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٥٨. المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، تحقيق الشيخ عبد الحلیم محمود - دار الكتاب اللبناني - ودار الكتاب المصري - الطبعة الثانية - ١٩٨٥م.
٥٩. موطأ الإمام مالك، تأليف: مالك بن أنس أبو عبدا لله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - مصر.
٦٠. نزهت الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي - تحقيق محمد عبد الكريم الراضي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٥هـ.
٦١. نظرات في السيرة - حسن البنا، مكتبة الاعتصام - القاهرة.
٦٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٦٣. الوسيط، سيد طنطاوي، المكتبة الشاملة.